

## من أخبار المسافرين (٢) بلقيس تسافر إلى سليمان

وهذه قصة لإحدى المسافرات اللواتي كان لهن صيت ذائع وشهرة بعيدة تناقلتها الأجيال عبر التاريخ، إنها مسافرة أمتعتنا القرآن الكريم بالحديث عنها وأخبرنا الله تعالى خبرها، وقصّ علينا أمرها، وإن الآثار التاريخية لاتزال إلى اليوم ناطقة بمآثر هذه الملكة العظيمة العاقلة الأريية الأدبية، وكانت لها منجزات عظيمة من أبرزها ترميمها لسدّ مأرب بعد انهدامه .

وتعال معي أخي القارئ في وقفة سريعة نتأمل خلالها تلك القصة الرائعة التي أوردها القرآن الكريم في أجمل أسلوب وأعظم عبارة، ولنقف على أحداث السفر الذي بدّأته بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس :

كتب سليمان كتاباً إلى بلقيس - ملكة سبأ - وقومها، وأعطاه الهدهد فحملة وذهب به إلى بلادهم، فألقاه إليها فأخذته ففتحت ختمه وقرأته، فإذا فيه : ﴿ إِنَّتُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٢﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكته ثم قالت لهم : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓآءِ إِنِّي أَتِيَّتُكِ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ثم قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُوٓآءِ إِنِّي فِي أَمْرٍ مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا لَنْ نَأْمُرَ بِأَنْ تَأْمُرَ بِأَمْرٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ فقالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ﴿٣٤﴾ فقال الرب عز وجل : ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ ثم قالت : ﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فبعثت إليه بهدية عظيمة فلم ينظر سليمان إلى ما جاؤوا به

بالكلية ولا اعتنى به بل أعرض عنه وقال منكرأ عليهم: ﴿أَتُمِدُّونَ بِمَالِ فَمَا ءَاتَيْنَاَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الإسلام أو السيف ﴿أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأَيِّبَنَّهُمْ بِمِجْنَدٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ ﴿٣٧﴾ أي مهانون مدحورون، فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت: إني قادمة عليه بملوك قومي لأنظر ما أمره وما يدعو إليه من دينه ثم أمرت بسرير ملكها الذي كانت تجلس عليه فجعل في سبعة أبيات ثم أقفلت عليه الأبواب ثم قالت لمن خلفت على سلطانها: احتفظ بما قبلك وسرير ملكي فلا يخلص إليه أحد من عباد الله ولا يرينه أحد حتى أتيك ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألفاً فلما بلغ سليمان أنها جائية وكان قد ذكّر له عرشها فأعجبه وكانت عليه تسعة مغاليق فكّره أن يأخذه بعد إسلامهم وقد علم نبي الله أنه متى أسلموا تحرم أموالهم ودماؤهم فقال: ﴿يَتَأَيُّبُ الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٣٨﴾ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَي مارد من الجن ﴿أَنَا ءَأْيُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ ﴿٣٩﴾ أي قوي على حمله أمين على ما فيه من الجواهر، وقال سليمان عليه السلام: أريد أعجل من ذلك. ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ وهو آصف كاتب سليمان عليه السلام ﴿أَنَا ءَأْيُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ أي ارفع بصرك وانظر فإنه لا يكل بصرك إلا وهو حاضر عندك فلما عين سليمان وملؤه ذلك ورآه مستقراً عنده ﴿قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَفِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أي هو غني عن العباد وعبادتهم كريم في نفسه وإن لم يعبه أحد؛ فإن عظمته ليست مفتقرة إلى أحد. فأمر بعرشها أن يُغير بعض صفاته

ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس بعرشها فقال: ﴿ نَكْرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَنْهَدِي أَمْرَتُكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ ﴿ أي عرض عليه عرشها وقد غير ونكر وزيد فيه ونقص منه، فكان فيها ثبات وعقل، ولها لبٌ ودهاء وحزم، فلم تقدم على أنه هو لبعده مسافته عنها، ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وإن غير وبُذِل ونُكِر، فقالت: ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ أي يشبهه ويقاربه وهذا غاية في الذكاء والحزم، فقال سليمان: ﴿ وَأُوَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ ﴿٤٣﴾ ثم ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا ﴾ وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيمًا من قوارير - أي زجاج - وأجرى تحته الماء الذي لا يعرف أمره بحسب أنه ماء، ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه، ثم قال لها: ادخلي الصرح ليرىها ملكاً هو أعز من ملكها، وسلطاناً هو أعظم من سلطانها، فلما رآته حسبته لجة، وكشفت عن ساقها، أي لم تشك أنه ماء تخوضه، فقيل لها: ﴿ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتبها في عبادة الشمس من دون الله. ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٤٤﴾ فأسلمت وحسن إسلامها.

ويقال إن سليمان عليه السلام تزوجها وأقرها على مملكة اليمن وردّها إليها وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلاثة أيام ثم يعود على بساط الريح!!

## أدعية السفر

ما أعظم هذا الدين، وما أكمله وأجمله، وأسعدنا به! تَحُفُّ بك تعاليمه الرائعة، ويغمرك بأدابه الجامعة؛ فما من أمر من أمور الإنسان ولا شأن من شؤون حياته إلا وقد اهتم به الإسلام وبيّن آدابه وأحكامه مهما كان ذلك الأمر صغيراً أم كبيراً، عظيماً أم حقيراً، ومن ذلك السفر فالمرء يسافر إما طلباً للعلم، وإما فراراً بالدين، وإما سياحة في الأرض، وإما تجارة وإما إلى غير ذلك من أغراض السفر. ومع ذلك يعطيه دينه آداباً جامعة ووصايا نافعة وكلمات ماتعة، فيسافر المسلم وكأنه في صلاة منذ أن يضع قدمه على راحلته يبدأ بذكر الله ثم إذا انطلق دعا بدعاء السفر، ثم في رحلته إذا صعد جبلاً كبيراً وإذا نزل وادياً سبح ثم إذا نزل منزلاً استعاذ بالله . . . الخ.

والمأمل في أدعية السفر وآدابه يجد لها من الروعة، والأثر في النفس الشيء العجيب، فهي ذات مذاق متميز، وطابع خاص، وأسلوب مؤثر يقوي صلة العبد بربه، ويدعم اعتماده على خالقه، ويؤكد فقره واحتياجه إلى حفظه، ويذكره بنعمته عليه وبسفره الأخير إليه.

### ١- دعاء الركوب والسفر:

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْ لَكُمْ مِنْ أَفْئِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٧﴾ لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٨﴾

وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على

كنا له مقرنين وإنما إلى ربنا لمنقلبون . اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده اللهم أنت صاحب في السفر والخليفة في الأهل . اللهم إني أعوذ بك من وعشاء السفر، وكآبة المنظر، وسوء المنقلب في المال والأهل والولد» وإذا رجع قالهنّ وزاد فيهنّ: «آيئون تائبون عابدون لربنا حامدون» [رواه مسلم]

وعن علي بن ربيعة قال: شهدت عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنما إلى ربنا لمنقلبون، ثم قال: الحمد لله، ثلاث مرات، ثم قال: الله أكبر، ثلاث مرات، ثم قال: سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك. فقيل: يا أمير المؤمنين من أي شيء ضحكت؟ قال: رأيت النبي ﷺ فعل كما فعلت ثم ضحك. فقلت: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال: «إن ربك سبحانه يعجب من عبده إذا قال: اغفر لي ذنوبي يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيري!» [رواه أبو داود والترمذي]

وعن جابر - رضي الله عنه - قال: كنا إذا صعدنا كبرنا، وإذا نزلنا سبحنا.

٢- الدعاء إذ خاف ناساً أو غيرهم:

عن أبي موسى الأشعري؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: «اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم» [رواه أبو داود]

٣- ما يقول إذا نزل منزلاً:

عن خولة بنت حكيم - رضي الله عنها - قالت: سمعت رسول الله ﷺ

يقول: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»  
[رواه مسلم]

٤- ما يقول إذا أقبل الليل:

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل، قال: «يا أرضُ ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، وأعوذ به من شر أسدٍ وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد»  
[رواه أبوداود]